مجلة جامعة الملك سعود، م٢١ ، الآداب (١)، ص ص ٢١٣ – ٢٣٦ الرياض (٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ)

مفهوم ظاهرة الإدراك ومدى توظيفها في ميدان الجغرافيا السياسية

إبراهيم محمد علي الفقي

معهد الدراسات الدبلوماسية – الرياض

(قدم للنشر في ٩/ ٥/١٤٢٩هـ، وقبل للنشر في ٢٩/١٠/١٤٢٩هـ)

ملخص البحث. اهتمت الجغرافيا السياسية خلال تاريخها الطويل بدراسة ظاهرة الإدراك، باعتبارها أكثر العمليات النفسية صلة بالعلوم الجغرافية. وقد ازداد الاهتمام بالإدراك خلال عدة مراحل تاريخية بدءا من أفكار فريدريك راتزل مؤسس علم الجغرافيا السياسية الحديث التي سيطرت على أفكار الجغرافيين وحتى الستينيات من القرن العشرين، عندما اتجهت الجغرافيا السياسية نحو البحث عن حقول جديدة ودراسة موضوعات غير تقليدية. وقد اهتم الجغرافيون بدراسة الإدراك عبر التاريخ الطويل للجغرافيا السياسية حتى قبل ظهوره كعلم حديث، بدءا من الفلاسفة اليونانيين وعبر عدد من المدارس مثل المدرسة البريطانية التجريبية أو المدرسة الوضعية المنطقية. وتناول العديد من رواد علم الجغرافيا السياسية مفهوم الإدراك في الجغرافيا السياسية بوجه خاص مثل ايمانويل كانت، وكارل ريتر، وفريدريك راتزل، وهالفورد ماكندر، وكارل هاوسهوفر ، ويتناول البحث أيضا دراسة الإدراك من خلال دراسة سلوكيات التصويت في الجغرافيا الانتخابية التي تعد فرعا من الجغرافيا السياسية، والتي تعد الوسيلة الرئيسية في دراسة الحكومات ودرجة تحكمها، كما يدرس هذا البحث الخرائط الذهنية باعتبارها احد الوسائل العقلية لتخيل العالم واهم الأدوات الإدراكية المؤثرة في صنع القرار. وأخيرا يتناول البحث الحدود السياسية باعتبارها مدخلا إدراكيا يتم من خلاله دراسة الحدود بين الدول من ناحية سلوك الحكومات والدول تجاه بعضها وسلوك الأفراد الذين يسكنون المناطق الحدودية.

مقدمة

تعد دراسة الإدراك"Perception" من أقدم العلوم التي درست ضمن العلوم النفسية، حيث يعد قانون ويبر- فيشنر Weber-Fechner الإحصائي في علم النفس من أقدم القوانين الإحصائية التي تقيس إحصائيا العلاقة بين الحافز الطبيعي وبين التأثيرات الإدراكية.وقد أدت الدراسات الإدراكية إلى ظهور مدرسة الجشطالت في علم النفس. http://English.turkcebilgi.com/perception

وتعد ظاهرة الإدراك من أكثر العمليات صلة بعلم النفس العام، حيث تشكل نظريات الإدراك احد أهم الجذور الراسخة في العلوم النفسية، كما شهد الإدراك تزايداً واستخداماً في العديد من العلوم والتخصصات ومجالات البحث، ولعب الإدراك البيئي دوراً مشابهاً ضمن إطار علم النفس البيئي.كما اهتمت النظريات والبحوث في مجال الإدراك البيئي فيما يتعلق في العمليات التي تشمل تنمية العمليات العقلية وتفسير وفهم ما يحيط بهذه العمليات.(Garcia-Mira&Real,2005:1)

يعد علم الإدراك دراسة علمية لكل من العقل أو المعلومات، حيث يشتمل علم الإدراك على عدد واسع من التخصصات والتي تشمل علم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم اللغة، والفلسفة، وعلم الحاسب الآلي، وعلم الأحياء. وقد ظهر الاهتمام بالإدراك عند الفلاسفة اليونان مثل أفلاطون وأرسطو في فهم طبيعة المعرفة عند الإنسان .وفي القرن السابع عشر ظهرت عند ديكارت فكرة أن الجسم والعقل هما كيانان منفصلان Res Externa و Res Cogitans، كما ظهرت هذه الفكرة عند عدد من المفكرين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ومنهم جورج بركلي، وروبرت بورتون، وتوماس هوبز، وديفيد هيوم، وايمانويل كانت، وجون لوك. وفي السبعينيات من القرن التاسع عشر انتقلت على يد ويليام وندت مسألة المعرفة الإنسانية إلى علم النفس التجريبي. في بداية القرن العشرين تأثرت فكرة العقل بما ذكره جون واتسون بأن الشعور أو الوعي مسألة غير مناسبة للتساؤلات العلمية، وان السلوك الذي يمكن ملاحظته هو الذي تجب دراسته.في الخمسينيات من القرن العشرين اتجهت أنظار العلماء نحو بناء نظريات ذهنية معقدة مبنية على التمثيل والعمليات الحسابية ومنهم جورج ميلر، الرائد في مفهوم العمليات العقلية، كما ظهر على يد عدد من العلماء أمثال جون ماكارثي، وهربرت سيمون الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence ، وفي نفس الفترة اتجه نعوم تشو مسكي نحو إزالة دراسة العقل من سلوكية واتسون وسكنر وآخرين . وترجع صياغة علم الإدراك إلى كريستوفر لنجت هيجنز في تقريره عام ١٩٧٣م الذي تطرق فيه إلى الوضع الحالي آنذاك للذكاء الاصطناعي، كما ظهرت في نفس الفترة مجلة العلوم الإدراكية إيذانا ببدء مجتمع العلوم الإدراكية http://Turkcebilgi/cognitivescience

في الستينيات من القرن العشرين، ظهر الاهتمام

على نطاق واسع بكل من الجغرافيا السلوكية، والإدراك البيئي، بإعتبارهما مواضيع مهمة وجديدة في الجغرافيا البشرية، وعلى الرغم من أن فكرة هذا الموضوع ليست بالجديدة، إلا أن الناس يتصرفون في الواقع ليس على أساس المعرفة الموضوعية Objective Knowledge ولكن على أساس أنها صور ذاتية Subjective Images . ويركز هذا البحث على دراسة الصور أو الخيال وعلاقة ذلك بالفرد والاختلافات البيئية. وفي الواقع فان هذا يعني أن سلوك وإدراك الجغرافيين لم تسفر عن نتائج بشكل يمكن أن يستخدمها جغرافيون آخرون لشرح أنشطة بشرية أخرى للعالم الحقيقي(Bunting & Guelke,1979:448-449).

خلال السبعينيات من القرن الماضي انتهج الجغرافيون السلوكيون في دراساتهم للإدراك منهجيات جديدة مثل رسم الخرائط والشبكيات، وهذه المناهج تهدف إلى فحص عدد كبير من السلوكيات السابقة مثل الصور، والتركيبات، والتصورات(المدركات)، والسلوكيات، والأفضليات، بهدف إنشاء علاقة بين أنماط السلوكيات والسلوكيات السابقة(Aitken& Bjorklund,1988:55-56).

وتظهر في أدبيات الجغرافيا، مثلها مثل أدبيات العلوم الأخرى، كالتخطيط، والهندسة المعمارية، وعلم الاجتماع، كلمات مثل الإدراك ، خيال أو صورة، أو البناء الإدراكي Cognitive Structure أو الفضاء الإدراكي أوالمخطط أو الخرائط العقلية، فالصورة أو الخيال، على سبيل المثال، هو شبيه صناعي أو صورة لشيء، وهي أيضا إدراك حسي أو صورة ذهنية في الذاكرة، وقد تعني أيضا مخطط لشعب أو معرفة غير مباشرة لمكان(Tuan,1975:205).

وتتعامل الدراسات السلوكية والإدراك في الجغرافيا مع تخصصات أو علوم أخرى ضمن العلاقة بين الإنسان وبيئته، بهدف إيجاد إطار نظري عام يمكن أن نطلق عليه السلوكية الإدراكية Cognitive Behavioralism والتي تستند على فرضية أن الإنسان يتفاعل مع بيئته على أساس إدراكه وترجمته لها، بناء على تجربة سابقة ومعرفة بها (Bunting &Guelke,1979:449).

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى التطرق لمفهوم ظاهرة الإدراك ونشأتها، وتطورها، وتوظيفها لخدمة الأفكار السلوكية والخرائط الذهنية، والنماذج الإدراكية، والتأكيد على ضرورة الاهتمام بدراستها، مع تفهم الأنشطة البشرية ومدى ارتباطها بالزمان والمكان.

تساؤلات البحث

أدى التطور السريع في الأبحاث السلوكية في الجغرافيا خلال أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين، إلى تجاهل أهمية التساؤلات النظرية، هذه الأسئلة نشأت من العلاقة الجغرافية بين الشخص وبيئته وخاصة الحتم البيئي للتحليل المكاني والايكولوجيا الحضرية.وقد هدف الباحثون السلوكيون

إلى إحلال المفاهيم الميكانيكية المبسطة للإنسان وبيئته بمنظور جديد يهتم بتعقيدات سلوك الإنسان.هذا المدخل يفترض أن الأفراد يستمدون معلوماتهم من البيئة، وذلك من خلال الإدراك ومن ثم يقيمون هذه المعلومات من خلال أنظمة القيم Value Systems بهدف الوصول إلى حلول إدراكية يعدها الباحثون أسسا ثابتة للسلوكيات اللاحقة، إلا أن هذا الافتراض غير الواقعي المبني على إدراك مستقر يتوسط بين البيئة والسلوك أصبح حجر الزاوية في الجغرافيا السلوكية (Aitken&Bjorklund,1988:54-55).

هناك عدد من التساؤلات يسعى البحث إلى الإجابة عنها وهي:

١- هل تطرقت الجغرافيا السياسية خلال مراحل تطورها إلى دراسة سلوكيات الإنسان من خلال الإدراك ؟

٢- هل ترتكز العلاقة بين الجغرافيا السياسية و الجغرافيا السلوكية أساسا على مفاهيم إدراكية ؟

٣- كيف يتعامل الإنسان سلوكيا مع بيئة يخضع لها باستمرار أو يتعرض فيها لتغير مفاجئ أو تغير جذري؟ وهل كل مراحل العلاقة وأشكالها بين الإنسان وبيئته عرضة للتغيير بنفس القدر؟ وإذا كانت هذه العلاقة غير قابلة للتغيير، ما هي العوامل الشخصية ومعدلات التغيير أو الاستقرار في هذه العلاقة؟

منهج البحث

وللإجابة عن الأسئلة السابقة، يستخدم الباحث المنهج التحليلي التاريخي للإدراك في الجغرافيا السياسية، بتتبع تاريخ الإدراك في الجغرافيا السياسية من خلال مراحل تطورها والاقتصار في هذه المرحلة على دراسة المفاهيم السلوكية مثل المكان، الإدراك، والتي ظهرت في أفكار علماء الجغرافيا السياسية، حتى الوقت الحاضر مع التركيز على فترة الستينيات التي شهدت ظهور الإدراك في الجغرافيا السلوكية كعلم له قواعد ومناهج، وذلك من خلال دراسة بعض العلوم السلوكية والتي تظهر ضمن فروع الجغرافيا السياسية مثل الجغرافيا الانتخابية، أو تلك التي لها علاقة بالبيئة الجغرافية مثل سلوكيات الإنسان، الحدود، والهجرة، والخرائط العقلية.

يحتوي هذا البحث على مقدمة عن الإدراك في الجغرافيا السياسية وارتباطها بالعلوم السلوكية، كما يتناول المفاهيم الإدراكية في الجغرافيا السياسية من خلال دراسة أفكار علماء الجغرافيا السياسية. وأخيراً يتطرق إلى المفاهيم الإدراكية في الجغرافيا السياسية خاصة بعد التطور الذي تعرضت له في الخمسينيات وظهور علوم جديدة انبثقت عن الجغرافيا السياسية مثل الجغرافيا الانتخابية، وسلوكيات التصويت، والحدود، والهجرة، والخرائط العقلية، وأخيراً خاتمة البحث.

تعريف الإدراك

تعبير "الإدراك" هو مصطلح مترامي الأطراف يغري الباحثين بالتناول وخاصة في مجال الجغرافيا السياسية للإسهام في معالجته بصورة موضوعية وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإن كثيرا ما يغري طلاب العلم في هذا المجال في مناقشته مع عدد من الأطياف

يستخدم مصطلح "الإدراك" في "علم الإدراك" في عدد كبير من العمليات العقلية أو البنيوية، وهذا المفهوم يعتبر مفهوما واسعاً جداً، ومن هنا يجب عدم الخلط بين كيفية استخدام الإدراك في بعض التحليلات الفلسفية التقليدية حيث يكون دور الإدراك هنا العمل مع القواعد والحقائق المشروطة دلاليا. ويستخدم مصطلح "الإدراك" للإشارة إلى أي نوع من العمليات العقلية أو البنيوية، وقد كان يعني في بداية ظهوره "اتخاذ إجراءات أو عملية المعرفة " وقد كانت هذه الكلمة تستخدم في سياق المناقشات الأفلاطونية أو في نظريات المعرفة. http://Turkcebilgi.cognitive science.

في علم النفس والعلوم الإدراكية الأخرى، يعد الإدراك عملية تقوم على أساس اكتساب، وترجمة، وانتقاء ، وتنظيم للمعلومات الحسية. وتتعدد طرق دراسة الإدراك بدءاً من المدخل الإحيائي أو البيولوجي أو النفسي إلى المدخل النفسي من خلال الفلسفة الدماغية، ونظرية المعرفة عند كل من ديفيد هيوم David Hume وجون لوك John Locke وجورج بركلي George Berkeley .

(http://english.turkcebilgi.com/perception)

و يميل علم الإدراك إلى رؤية العالم من خلال رؤية من داخل العقل، مثله مثل العلوم الأخرى، فهو علم يضم هدفاً أو موضوعاً مستقلاً يمكن ملاحظته وإدراكه بالحواس ويتوافق مع العلوم الطبيعية ويستخدم الأساليب العلمية مثل المحاكاة والنمذجة وكثيراً ما تتم مقارنة الناتج من هذه النمذجة مع الجوانب الأخرى من سلوك الإنسان. ومع ذلك لا يزال هناك الكثير من الخلاف حول العلاقة بين علم الإدراك والعلوم الأخرى.وهناك عدد من العلماء الوظيفيين(Functionalists) في مجال الإدراك يرون أن العقل يمكن تصنيفه وظيفياً، وأن مثل هذا النظام يعمل طبقاً لحالة العقل ووظيفته، حتى في غير الأنظمة البشرية –مثل الحيوانات أو أية أشكال أخرى للحياة، أو أجهزة الحاسوب المتطورة، لها حالة عقلية، وهذا المنظور هو أحد الأسباب التي أدت إلى أن مصطلح علم الإدراك لا يتساوى في الامتداد مع علم الأعصاب أو علم النفس أو مزيج من العلمين http://Turkcebilgi/cognitive

يعرف الإدراك بأنه " الوسيلة التي بها يتكيف الكائن الحي للبيئة التي تحيط به " .(خيري وآخرون، د.ت. : ١٨٥).

ويعرف السمالوطي الإدراك بأنه " عملية تأويل وتفسير وشرح تقوم بها المراكز المتخصصة في المخ للصور الحسية التي تصل إليها من الحواس والعين

والأذن واللسان والجلد ومن داخل الجسم لتطلعنا على العالم الخارجي من حولنا". (السمالوطي، ١٤٠٤ : ١٢٧).

ويقول عاقل أن الإدراك "عملية نفسية قوامها وعي الأشياء الخارجية وصفاتها وعلاقاتها مما له صلة مباشرة بالعمليات الحسية وذلك تمييزاً لها عن التذكر وسواه من العمليات" (عاقل، ١٩٧٩ : ٨٣) . أما إدراك الحيز أو Space Perception فهو "إدراك مظاهر الحجم والبعد والعمق في المحيط أو الاستجابة لها ." (عاقل، ١٩٧٩ : ١٠٧)

ويمكن تعريف الإدراك بأنه "القدرة على الحصول على معلومات عن طريق الحواس واستخدامها بطريقة ما. ويعد البصر والسمع هما الحواس المهيمنة التي تسمح بادرك البيئة. ومن هنا تظهر عدة تساؤلات تتعلق بالإدراك البصري ومنها كيفية القدرة على التعرف على الأشياء، ولماذا ندرك البيئة البصرية بصورة مستمرة على الرغم من أننا نرى أجزاء صغيرة منها في أي وقت (http://Turkcebilgi/cognitive).

شروط الإدراك

لتتم عملية الإدراك لابد من توفر العوامل التالية:

١- وجود العالم الخارجي المستقل.

٢- توافر الحواس التي تسهم في إدراكنا للعالم الخارجي الذي يحيط بنا.

٣- القدرة على عملية التفسير أو التأويل وترجمة الأحاسيس التي نتلقاها من العالم الخارجي.

٤- الانتباه إلى المثيرات التي ندركها دون غيرها من المثيرات التي لا ندركها(خيري وآخرون، د.ت.: ١٨٦-١٩٠).

أنواع الإدراك

هناك عدد من أشكال الإدراك هي :

١- الإدراك الشكلي أو المشروط A modal Perception

٢- الإدراك باللون Color Perception

٣- الإدراك بالعمق Depth Perception

٤- الإدراك بالنموذج أو القالب أو الهيئة Form Perception

٥- الإدراك باللمس Haptic Perception

٦- الإدراك بالخطابة أو ملكة الكلام Speech Perception

٧- الإدراك كترجمة Perception as Interpretation

العوامل الشخصية المؤثرة في عملية الإدراك

يتأثر إدراك الفرد بعدد من العوامل الشخصية الداخلية، وعدد من العوامل الخارجية المرتبطة بالبيئة التي يعيش في كنفها ومن هذه العوامل ما يلي :

١- نوعية الوسط الذي يعيش فيه الفرد وأثره على إدراكه وسلوكياته.

٢- رغبات الفرد وميوله.

٣- عاملا الثواب والعقاب ومدى تأثيرهما على إدراك الفرد نحو العالم الخارجي المستقل أو ما يطلق عليه"البيئة الجغرافية."

٤- حالة التهيؤ الذهني أو العقلي أو ما يطلق عليه (Mental Set)التي يكون عليها الفرد وتلعب دوراً مهماً في عملية الإدراك. ويعرف (عاقل) التهيؤ الذهني بأنه"استعداد داخلي لإدراك شيء ما أو أمرما" (عاقل، ١٩٧٩ : ٧٠).

٥- القيم، فالإنسان يدرك الأشياء التي لها قيمة بالنسبة إليه، بينما لا يدرك الأشياء التي لا قيمة لها ولا يرغب فيها. وهذه القيم تشمل القيم الجمالية والقيم الاقتصادية والقيم النظرية والقيم الاجتماعية والقيم السياسية والقيم المعنوية و القيم الدينية.

٦- الانفعالات التي تلعب دوراً مهماً في التأثير على الفرد خاصة وإدراكه بشكل خاص، بحيث يدرك الأشياء تبعا للحالة الانفعالية التي يعايشها.

٧- توافق الإدراك مع رأي المجتمع أو الجماعة التي يعيش الفرد بينها، وان الفرد عادة ما يعدل إدراكه ليتوافق مع إدراك الجماعة التي ينتمي إليها(خيري وآخرون، ب. ت: ١٩١- ٢٠٠).

العوامل الخارجية المؤثرة في الإدراك

١- القرب Proximity حيث يدرك الفرد الأشياء كوحدة أو صيغة من خلال التقارب.

٢- التشابهSimilarity حيث يدرك الإنسان الأشياء من خلال تشابهها.

٣- الإحاطة والتكميلClosure وهو مبدأ من مبادئ علم النفس الشكلي (الجشطالت) و ينص على "أن السلوك والأفعال والإدراك والذكريات وسواها تميل نحو التكامل والى أنها تتخذ شكلا مغلقا"(عاقل، ١٩٧٩ : ٢٥).

وهذا العامل يستند إلى أن الفرد يدرك الأشياء كاملة أو أنها تميل نحو الكمال.

٤- الاستمرار Continuityويقصد بها "غياب الفاصل أو الهوة بين أمرين أو متواليين"(عاقل، ١٩٧٩ : ٢٩)

وهو هنا إدراك الأشياء كوحدة متكاملة ومستمرة لما قبلها.

٥- الشكل والأرضية Shape &Ground ويقصد به "النزوع إلى إدراك شكل الشيء وكأنه ثابت لا يتغير بالرغم من أن الصورة التي تنعكس على العين تتغير بتغير المسافة وزاوية الرؤية(عاقل، ١٩٧٩ : ١٠٤)

٦- ثبات الإدراك في البيئة، إذ أن الإدراك يعتمد على أن العالم الخارجي المحيط هو عالم ثابت ومحدد من حيث الشكل والحجم(خيري، ب. ت: ٢٠١- ٢٠٤).

الإدراك في الجغرافيا السياسية

مرت الجغرافيا السياسية خلال تاريخها بثلاث مراحل متميزة :

١- المرحلة الأولى بدأت منذ أواخر القرن

التاسع عشر وحتى العشرينيات من القرن العشرين. وفي هذه المرحلة ظهرت الجغرافيا السياسية كعلم يدرس العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية حيث نشأت هذه المرحلة على يد فريدريك راتزل الألماني F. Ratzel وظلت أفكارها مسيطرة على أفكار الجغرافيين حتى ظهور هتنر Hettner الذي وضع مفهوم دراسة الاختلافات المكانية.

٢- المرحلة الثانية بدأت هذه المرحلة في بداية الخمسينيات من القرن العشرين واتسمت بسيرها نحو التعميم وبناء النظريات. وظهر خلال هذه الفترة اتجاهات منها، الأول يتمثل في المدرسة الفرنسية (المدرسة المكانية) بقيادة فيدال دي لابلاش. والتي ركزت على الربط بين الإنسان و الأرض أما المدرسة الثانية فهي المدرسة الألمانية (المدرسة الحتمية).

٣- أما المرحلة الثالثة فبدأت منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين متخذه في ذلك اتجاهين مختلفين:

أ) الاتجاه الأول هو ما يسمى بالثورة الإحصائية.

ب) الاتجاه الثاني فهو ما يدعى بجغرافية التطرف وهي تلك التي تهتم بالصلات الاجتماعية، كما اهتمت الجغرافيا السياسية من حيث الصلة ،بدراسة الجغرافيا الفدرالية ، و الجغرافيا الانتخابية ، كما درست الجغرافيا السياسية الاتجاهات الجغرافية للسياسات في المدينة، ودرست أيضا حل الصراعات (Dikshit,1982:23) .

في نهاية الستينيات من القرن العشرين بدأت الجغرافيا السياسية تتجه نحو الظهور مرة أخرى بعد كمون قصير نسبيا. هذا الظهور أخذ اتجاهين، الاتجاه الأول، عودة الاهتمام بالجغرافيا السياسية per se و الاتجاه الثاني هو التطور السريع، على وجه الخصوص، في استخدام تطبيق الجغرافيا في العلوم الاجتماعية المعاصرة وهي الدراسات التي يغلب عليها طابع العمليات السياسية ومشروعية القيم الاجتماعية.

وقد أدى هذان الاتجاهان إلى تعرض مستقبل الجغرافيا السياسية إلى مخاطر جسيمة. ومن الجدير بالذكر أن أحد الأسباب التي أدت إلى يقظة الجغرافيا السياسية كان ركودها النسبي بينما كان معظم موضوعاتها قد تحولت إلى نماذج مستقبلية جاءت بواسطة نماذج قادمة منذ أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين، مما دفع بالكثير من الرواد في حقل الجغرافيا السياسية بالبحث عن حقول جديدة يستطيعون من خلالها ممارسة نظرياتهم الجديدة في هذا الحقل. فمنهم من أشار إلى أن الجغرافيا السياسية لا تزال علما متميزا له بعض الموضوعات و التي يمكن استخدامها خاصة بعد ما يقارب ٢٠ عاماً من التجاهل وعدم الاهتمام و الخوف من القضاء على الجغرافيا السياسية كما تم القضاء على جغرافية السلالات في الثلاثينيات، أو أن يتم احتواؤها بواسطة العلوم السياسية (Busteed, 1983:53).

منذ نهوض الجغرافيا السياسية في الستينيات،

ظهر جزء من هذه الموضوعات، و التي يغلب عليها الطابع التقليدي لموضوعات الجغرافيا ووضعت في قالب كبير ، ومن ضمن هذه المواضيع دراسة الأنماط العالمية للأنظمة القانونية الوطنية، والنزاعات الإقليمية، والحدود، ومسألة الحدود المائية البحرية، و الموارد، كما يلاحظ أن بعض هذه المواضيع تزايدت بشكل كبير ومكثف على مستوى صغير، ولم يشمل تغيير المواضيع مستوياتها فقط، ولكن التغيير أمتد ليشمل أيضا النظرة الفلسفية للموضوع ، والمنهج التقليدي للبحث المستخدم ، ووسائل اختبار النظريات والنماذج، وبناء القوانين ،ووسائل الحصول على المعلومات ووسائل منهج اختبارها، مثال ذلك، استخدام الوسائل الإحصائية . وبهذه الطريقة أصبحت للجغرافيا السياسية أفكارا وأدوات يمكن استخدامها في موضوعاتها المختلفة. فقد تم استخدام نماذج، مثل نماذج حصص-الأماكن في بناء المناطق الإدارية، واستخدام تحليل الأنظمة كإطار تحليلي ،كما ظهرت عدة دراسات تربط المفاهيم والأفكار الجديدة و التقنيات من خلال منظور شامل لموضوعات الجغرافيا السياسية. وعلى الرغم من التجاهل الذي تعرضت له الجغرافيا الانتخابية والجغرافيا السلوكية، إلا أن هذين الحقلين شهدا نموا سريعا كحقلين من حقول الجغرافيا السياسية بالإضافة إلى موضوعات الجغرافيا السلوكية التي استمدت مفاهيمها من العلوم السلوكية باستخدام العديد من الوسائل الإحصائية مع التركيز الشديد على المكان كمتغير، ليكون بذلك أحد علوم الجغرافيا السياسية التي تطورت بسرعة كبيرة، مما أدى بالتالي إلى التركيز على تأثير الحدود الانتخابية على نتائج الانتخابات، وهذا بدوره أدى إلى ربط الجغرافيا الانتخابية بصورة ملموسة بالجغرافيا السياسية بصفة خاصة، وبعلم الجغرافيا بصفة عامة، مع التأكيد على الروابط بين أنماط الدعم الانتخابي، وجغرافية النفقات الحكومية، خاصة الخدمات الاجتماعية (Busteed,1983:54).

بالإضافة إلى ما سبق وصل التطور في الجغرافيا السياسية إلى مرحلة متقدمة ليشمل مواضيع ذات صلة بالمجتمع خصوصاً تلك التي تحاول إلقاء الضوء على أهمية العنصر السياسي كمتغير تفسيري، في الجغرافيا البشرية ،وفتح المجال لتفسير أكثر واقعية وموضوعية لموقف الجغرافيا السياسية من الأحداث، وتأثرها بها وتأثيرها فيها بصورة علمية وعملية. كما ركزت الجغرافيا السياسية في تطورها على دراسة كيفية الأنماط المكانية للحرمان والفقر والعوامل المسببة له لتصل إلى نتيجة مؤداها أن الموارد المنتجة، مهما كان المجتمع أو الاقتصاد، خاصة في العالم الغربي، لا تتوزع طبقا للحاجة، وإنما حسب القوة السياسية للمجموعة التي تصارع من أجل الحصول والسيطرة على هذه الموارد، وأن نتيجة هذا الصراع هي أن الأغنى و الأقوى هو الذي يسيطر على المجتمعات والاقتصاديات. وقد أدى ذلك إلى أن تركز عدة دراسات في الجغرافيا السياسية

على طبيعة الجماعات المشتركة في الصراع وطموحاتهم المختلفة . أضف إلى ذلك فإن الجغرافيا السياسية قد أخذت على عاتقها المقارنة بين القوة السياسية للجماعات وتأثيرهم النسبي في عملية صنع القرارات التي تصنع مخرجات السياسة، والأنماط المكانية الاجتماعية. ومن أكثر الدراسات شيوعاً في مجال الصراع هو التغيرات في استخدام الأراضي، والتي غالبا ما تشمل مواقع الخدمات التي تقوم بعملية التغيير المقترحة بغرض نشر التغيير المكاني للمجتمع بصورة أشمل(Busteed, 1983:55)

وعلى الرغم من تطور اهتمامات الجغرافيين بالموضوعات الجغرافية، إلا أن هذا الاهتمام تعرض إلى نوع من الإحجام لدى المتخصصين في الجغرافيا السياسية ضمن إطارها التقليدي عند معالجتها لأمور وقضايا مهمة أو حساسة نتيجة لعدم مسايرتها لتطورات الأحداث السياسية . إلا أن هناك حدثين وقعا خلال الستينيات و السبعينيات من القرن العشرين في عالم السياسة المعاصر أدى إلى تطور التحليل السياسي، الحدث الأول، هو تطور الاهتمام بالمشكلات البيئية البشرية خاصة التي يصنعها الإنسان، و الثاني هو رغبة القوى السياسية الناجمة عن استقلال دول العالم لتصبح ضمن الدول المستقلة مثال ذلك، التطور الناجم عن استخدام الوقود الحفري (البترول) بالمعدل الحالي خصوصا في أمريكا الشمالية وغرب أوروبا سيؤدي إلى استهلاك هذه الموارد، وبالتالي سوف يؤدي إلى البحث عن مصادر بديلة للطاقة المستقاة من الوقود الأحفوري وذلك من الشمس، أو الرياح، أو حركة المد والجزر، أو المياه، أو المساقط المائية، أو مخلفات الحيوانات. و يزداد القلق نتيجة تأثير تطوير هذه الموارد على البيئة الطبيعية مثل تأثير الأسمدة الكيماوية، ومواد مكافحة الحشرات، على المياه، والغلاف الحيوي، بشقيه النباتي، والحيواني.ومنذ أواخر الستينيات كانت أهم المقترحات في الجغرافيا السياسية التركيز على المشكلات العامة التي يناقشها العديد من الأحزاب بكثير من التفضيلات، حيث تهتم الجغرافيا السياسية بوضع جل اهتمامها على البدائل وصراعها مع الإنسان في استخدامه للبيئة الطبيعية من خلال الأنظمة السياسية . (Busteed,1983:56)أما الظاهرة الأخرى التي تهتم بها الجغرافيا السياسية، فهي قدرتها على التحليل، حيث قامت بتحليل الكثير من الظاهرات السياسية في دول غرب أوروبا مثل سياسة التنمية الإقليمية ، والأبعاد المكانية للسياسات الإقليمية (Busteed,1983:57).

الإدراك في الجغرافيا السياسية وارتباطه بالعلوم السلوكية

على الرغم من الاهتمام الكبير بالإدراك أو ما يطلق عليه الإدراك البيئي من قبل الجغرافيين وعلماء العلوم الاجتماعية الآخرين في السنوات الحالية، إلا أن دراسة الإدراك ليست بجديدة في عالمنا المعاصر على

الرغم من أن أدوات التحليل هي التي تعرضت إلى التطور الشديد.

عبر التاريخ اهتم الفلاسفة بمشكلة البقاء أو الوجود والوسائل التي استخدمها الإنسان في البقاء، فقد تطرق أفلاطون إلى الإدراك في كتابه السابع من كتابه الضخم الجمهورية (The Republic) كما درسها في عصور لاحقة كل من ديفيد هيوم (David Hume) وبيشوب بيركلي (Bishop Berkeley) وايمانويل كنت (Immanuel Kant)كمفهوم نظري دون أن تكون هناك مدرسة فكرية معينة مثل المدرسة البريطانية التجريبية (British Empiricism)أو المدرسة الوضعية المنطقية (Logical Positivism) . ومن أهم السلوكيين العالم الروسي بافلوف (Pavlov) الذي أكد على أهمية دراسة السلوك الإنساني (Jackson,1971:31)

وقد ركزت مدرسة السلوكيين مباشرة على المحفز الخارجي (External Stimuli) حيث تعتمد جميع العمليات النفسية على الحافز- الاستجابة(Stimuli-Response)كسلسلة من الإدراك المجرد (Pure Perception). ومن أهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه المدرسة تبسيطها الشديد للعمليات المتعلقة بادراك الإنسان ووعيه و سلوكه، كما وجه انتقاد إلى فشلها في قدرتها في تفسير الروابط بين الحافز و الاستجابة (Jackson,1971:32)

على الجانب الأخر اهتم (Behavioralists) بأهمية الإدراك فقد تقبلوا التأكيدات الظاهرية فينومينولوجيا ظواهرية (Phenomological) وهي "الدراسة المنهجية للخبرة المباشرة أو للعالم كما يبدو للملاحظ وهي عكس الدراسة التحليلية " (عاقل، ١٩٧٩ : ٨٤)، إلا أنهم أشاروا إلى أنه حيث يظهر الإدراك البشري وتأثيره على النمط السلوكي للإنسان يجب هنا إضافة القيم (Values) إلى سلسلة المحفز- الاستجابة، كما أشارت هذه المدرسة إلى أن الإدراك لا يعد نشاطاً مجهولاً يتطلب الملاحظة فقط وإنما يأتي نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة (Jackson,1971 :32) .

ويمكن ترجمة الارتباط بين السلوك المكاني (Spatial Behavior)و السلوك السياسي Political) (Behavior و المعاني الفكرية إلى نشاط سياسي تتضح من خلال عملية يصعب تحليلها. حيث نجد أن الإدراك هو عملية فردية وليست عملية جماعية، ويزيد الأمر صعوبة إذا علمنا أن مفهوم السياسة يشتمل على عمليات اجتماعية متعددة، حيث يتم التعامل مع مجموعة، وليس مع ظاهرة فردية يمثل الترابط فيها أعلى مستوياته (Jackson, 1971:34) .

من الناحية الجغرافية نجد أن إدراك الفرد، هو في حقيقة الأمر عبارة عن إدراك مكاني، وهذا لا يعدو كونه معرفة الفرد بالمكان الذي يعيش فيه مع جماعة في مكان بذاته سواء كان إقليماً أو أمة، ومن هنا نجد أن مفهوم الإدراك المكاني ليس المكان الذي ندركه ولكنه في الحقيقة العلاقة ضمن إطار مكاني (Jackson,1971:35)

وفي حقيقة الأمر نجد أن جميع المجتمعات السياسية لها منظور جيوبوليتيكي على الرغم من إنها لا تحتاج لتكون واضحة مثل نظرية الكائن الحيوي) (Lebensraumالتي ظهرت في ألمانيا النازية ويماثل هذا الوضع العزلة الأمريكية في خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، تعد منظوراً جيوبوليتكياً، أدى إلى تغيير موقع الولايات المتحدة في السياسة العالمية . فمبدأ مونرو (Monroe Doctrine) أو سياسة الاحتواء (Containment Policy)التي أطلقها جون فوستر دالاس في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، ما هي إلا انعكاس جيوبوليتكي للإدراك المكاني (إدراك الحيز (Jackson,1971:35)

يتطلب الإدراك المكاني، بعدا إدراكيا أو ما يطلق عليه (Perception of Distance)، الذي يحتوي على عمليات إدراكية داخلية(Internal Perception) ، ففي موضوعات الجغرافيا السياسية يظهر تأثير البعد الإدراكي في التعبيرات المتعلقة بهدف الوصول إلى تحديد مشكلة الوصول(Problem of Access) ، وكما أشار إليها ماكندر بصورة موسعة بقوله" أن الجغرافيا السياسية تبدو موجودة في الحقيقة القائلة أن الإنسان يرحل و إن الإنسان يستقر" وقد بدأت الجغرافيا السياسية في الاتجاه نحو طرق أكثر منهجية في البحث عن تأثير البعد الإدراكي في السلوك السياسي، مثال ذلك كيفن كوكس Kevin Cox في دراسته عن تأثير البعد الإدراكي وعلاقته بالحركة (Movement) على نمط التصويت في الولايات المتحدة. (Jackson,1971:36)

تناول كثيرون من رواد علم الجغرافيا السياسية مفهوم " الإدراك" في الجغرافيا بوجه عام والجغرافيا السياسية بوجه خاص، فعلى الرغم من أن ايمانوبل كانت 1724-1804 (Immanuel Kant) أحد الرواد في الجغرافيا الحديثة ، إلا أن شهرته كفيلسوف في علم السياسة طغت على سمعته في حقل الجغرافيا. وقد قام كانت بالتدريس في الجامعة معاصرا بذلك جوان كريستوف جاترر (Johnn C. Gatterer)الذي كان يدرس التاريخ أيضا ليظهر تأثيرهم فيما بعد على طلابهم أكثر من مؤلفاتهم، وعلى الرغم من التأثير الكبير ل Gattererعلى تلاميذه مثل الجغرافي ريتر (Ritter)وتأثير ذي ساوسر (De Saussure's) على الجغرافي همبولت (Von Humboldt)إلا أن تأثير أفكار كانت على الثلاثة كانت الأكثر أهميه. (Fischer,1969:48)

فقد امتد تأثير كتاباته وأفكاره إلى الأجيال اللاحقة من الجغرافيين على الرغم من أن الكثير من كتاباته الجغرافية طبعت وانتشرت لفترة محدودة. وقد قام كانت بالكتابة عن الجغرافيا الطبيعية وقد اشتملت كتاباته عن الإنسان وتأثيره على مجريات الأحداث على الأرض كضرورة لفهم إدراك الإنسان للعالم ولهذا تعد أفكاره الجغرافية مدخلا مهما لفلسفته.

وفد أشار كانت في كتاباته عن الجغرافيا الطبيعية (Physische geographie)بأن الإدراك هو تجربة الإنسان للطبيعة وهما يشكلان معا معرفته بالعالم.وان علم الإنسان يعلمنا كيفية معرفة الإنسان، وإننا مدينون

بمعرفتنا للطبيعة يعود إلى الجغرافيا الطبيعية وان التجربة، بالمعنى الحرفي للكلمة، لا وجود لها، إلا أن الإدراك هو الذي يزودنا بالخبرة. كما لاحظ كانت أن أية دراسة للخبرات المستقبلية يجب أن تقوم على دراسة ومراجعة العالم كفكرة أساسية، فالإنسان يسافر كثيراً ويشاهد كثيراً، إلا أن هناك أكثر من فكرة السفر والمشاهدة وهي التي تتمثل في جلب فوائد اكبر من السفر حيث يجب عليه أن يرسم خطة، وان لا ينظر إلى العالم كما هو قائم بذاته، بل أن يكون العالم هدف لحواسه (Fischer,1969:49)

يعد كارل ريترKarl Ritter الذي عاش ما بين (1779-1859) و هامبولت رائدا الجغرافيا الحديثة وقد قام ريتر بالتدريس في جامعة برلين وكتب عدة أجزاء عن الجغرافيا الإقليمية لآسيا، كما يعد بحق مؤسس الجغرافيا البشرية نظرا لاهتمامه بالتاريخ، وقد تأثر بأفكاره العديدة من تلاميذه في ألمانيا وخارجها ومنهم على سبيل المثال ركلوس Reclusوجويت Guyot في فرنسا ولا يزال تأثير مدرسته كبيرا في فرنسا ,Fischer) 1969:65-66)

قد طور ريتر نظريته على أساس أن الحضارة الإنسانية كيان عضوي (Organic Entity) وان هذه الحضارة تولد وتتطور لتصل إلى مرحلة النضج ثم تتدهور وتموت، وان هناك تواز بين الحضارة والبيئة، حيث وضح أن البيئة تختلف من مكان لآخر، وأن الحضارة تتطور من مرحلة إلى أخرى. وبتحليل نظرية الكائن الحي على العالم الطبيعي نجد أن نظرية الكائن الحي تمر في دورة من النمو الحضاري طبقا لحضارة الإنسان وهذه الدورة تشمل الولادة، والنضج، ثم الاضمحلال (Dikshit, 1982:4) .

وعلى الرغم من أن ريتر لم يتطرق في كتاباته إلى أية مفاهيم سلوكية، إلا أن المهم هنا أن نظريته تم تطويرها بواسطة فريدريك راتزل لتحمل في طياتها مفاهيم سلوكية كما سنرى عند الحديث عن فريدريك راتزل الذي عمل في بداية حياته كمساعد لصيدلي لمدة أربع سنوات ثم درس علم الحيوان. وبعد تخرجه من الجامعة عمل على ساحل البحر المتوسط مع أحد علماء الطبيعة ومراسلاً صحفياً لجريدة ألمانية . وقد تطوع راتزل كجندي في الحرب الألمانية – الفرنسية في عام ١٨٧٠م، وقد أدى تنقل راتزل من وظيفة إلى أخرى وعمله في مجال الصحافة والصيدلة والطبيعة إلى تعميق معرفته بالعديد من العلوم (Norris& Haring,1980:50)

وقد أدى ظهور الداروينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى تعميق معرفة الإنسان بالبيئة الطبيعية، بالإضافة إلى تطور وسائل البحث، إلى أن يتجه الجغرافيون في تلك الفترة بالبحث عن علاقة الإنسان بالبيئة، مما أدى بالتالي إلى تطور الأبحاث في الجغرافيا السياسية تحت قيادة فريدرك راتزل الذي يعتبر مؤسس الجغرافيا السياسية وقد استعار راتزل مفهوم ريتر عن الثقافة العضوية (Organic Culture) وطوره إلى

النظرية العضوية للدولة (Organic Theory of the State) وهي النظرية التي تنظر إلى الدولة المستقلة ككائن حيوي مثله مثل أي كائن حي ينطلق من طبيعته في البحث عن مكان أوسع.

وقد أشار راتزل في كتابة الجغرافيا السياسية (Politische Geographie)الذي ألفه في عام ١٨٩٧م والذي يعتبر أول كتاب يتناول الجغرافيا السياسية بطريقة أصولية إلى أن الدولة مثل الكائن الحي يتجه نحو التطور والنمو ثم الموت، وان الدولة تعتمد في نموها ونشأتها على السكان، كما ظهرت في كتابه ألفاظاً تتعلق بسلوكيات السكان في الدولة التي أشار إليها راتزل مثل كلمة (Mobility)وهي التي تعني الحركة والانتقال للسكان كمبدأ من مبادئ نمو الدولة وهذه الحركة ترتبط بمفهوم روحي (Spiritual)تم تطرق إلى الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية، وهذه الهجرة تعتمد على عدة مواضع مكانية، وهي تعتمد بدورها على اتجاهين. الاتجاه الأول، نحو التوسع والاتجاه الآخر نحو الزيادة السكانية، وهذين الاتجاهين يعملان باستمرار نحو الحركة والانتقال أما الحافز الآخر فهو الإنشاء أو التأسيس أو علاقة الدولة بالأرض.

وقد وضع راتزل عدة قوانين تتعلق بالنمو المكاني للدولة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١- أن حجم الدولة ينمو بنمو حضارتها.

٢- أن نمو الدولة يتبع نمو السكان الذي يعد ضروريا لنموهم.

٣- أن نمو الدولة يتطلب ضم دول اصغر.

٤- أن الحدود هي الهوامش الحيوية للدولة.

٥- أن الدولة وهي في طريقها نحو النمو تصنع لنفسها وضعا سياسيا مناسبا.

٦- أن المحفز الأول (The First Stimuli)لنمو الدولة يأتي من الخارج.

٧- أن الاتجاه العام نحو ضم الأراضي ينتقل من دولة لأخرى وهذا يؤدي إلى زيادة حدة الصراع . وأشار راتزل إلى القانون السادس والمتعلق بالمحفز وأن الدولة في بداية نشأتها لا تستطيع النمو ما لم يكن هناك تأثير خارجي أجنبي، مشيرا إلى أن الناس في الدول ذات المساحة الكبيرة يحملون أفكارهم عن الدولة الكبيرة إلى دول ذات مساحة أصغر. (دوغين، ٢٠٠٤: ٧٨- ٧٩)

وممن تناول الإدراك سير هالفورد ماكندر(١٨٦١-١٩٤٧) أحد علماء الجغرافيا السياسية. والذي درس في البداية التاريخ ثم الجغرافيا ليصبح من أوائل الجغرافيين في جامعة أكسفورد.وهو المؤسس لفكرة قلب الأرض (Heartland) (Fischer,1969:258)

ومن أهم ما كتبه ماكندر في الجغرافيا السياسية مقاله (The Geographical Pivot of History) في عام ١٩٠٤م حيث ركز في مقاله على الارتباط (العلاقات المتبادلة) ما بين المفاهيم الجغرافية والتاريخية مركزا مفهومه الجغرافي على الظروف الطبيعية مثل المناخ وأشكال الأرض بالإضافة إلى مواقع الكتل القارية مع الاهتمام بالعلاقة بين هذه الكتل. وقد عكس فكره التاريخي عملية تكيف أو مواءمة الإنسان

مع بيئته الطبيعية خلال الزمن. وقد طور ماكندر في عام ١٩١٩م نظريته في مقال بعنوان Democratic Ideals and Reality)) حيث وضع نظرية قلب الأرض ملخصا نظرته العالمية عن العالم حيث قال:

- من يتحكم في شرق أوروبا يتحكم في قلب الأرض
- ومن يتحكم في قلب الأرض يتحكم في جزيرة العالم
- ومن يتحكم في جزيرة العالم يتحكم في العالم(Norris &Haring ,1980:35-36)

و يتضح أن إدراك ماكندر عن العالم ونظريته قد تطورت نظرا لاتساع معرفته بالعالم حيث نلاحظ أن مقاله الأولى تعتبر مقدمة عن إدراكه لمواقع الكتل القارية، ثم ظهرت مقالته الأخرى لتظهر بعد ذلك إدراكه عن العالم أو نظرية قلب الأرض شكل رقم (١) . أما رودلف كيلن(١٨٦٤- ١٩٢٢) العالم السويدي المتخصص في العلوم السياسية فهو أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيكا وتأثر براتزل، وكان يعتقد أن الجغرافيا السياسية أكثر التصاقا بالعلوم الجغرافية منها بالعلوم السياسية . وقد طور كيلن مفهوم الجغرافيا السياسية الذي ذكره راتزل والذي استخدم فيه مصطلح الكائن الحي الحيوي .Biological Organism

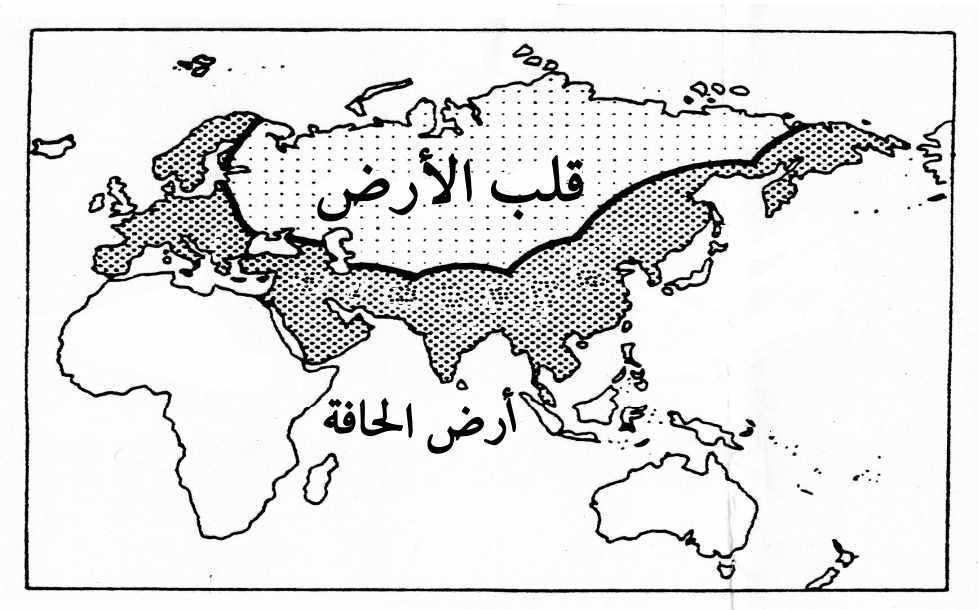

شكل رقم (١). نظرية قلب الأرض عند ماكندر

المصدر: (Pounds, 1972: 431)

كما تأثر بأفكاره العالم الألماني هاوسهوفر وفي الحقيقة نجد أن لأفكار كيلن النصيب الأكبر في التأثير على هاوسهوفر أكثر من تلك التي جاء بها ماكندر، بل إن الكثير من تلاميذه تأثروا بأفكاره خصوصا تلك التي تتعلق بالجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا على الرغم من أنه يعتبر نفسه متخصصا في العلوم السياسية وليس متخصصا في الجغرافيا.وقد أشار كيلن في كتاباته إلى القوى العظمى وذكر أن مكانة كل من هذه القوى لا ترجع إلى مفهوم رياضي، أو سلالي، أو حضاري، أو ثقافي ولكن ترجع إلى مفهوم ديناميكي حركي، أو فكرة نفسية (Fischer,1969:316-318) وقد طور كيلن مفهوم راتزل عن الدولة ككائن حي بأن جعلها ككائن مدرك ذو مشاعر مزودة بالأخلاق وبالقدرات الفكرية (Dikshit,1982:11).

وتناول كارل هاوسهوفر ١٨٦٩- ١٩٤٦ وهو صديق وزميل دراسة لفريدريك راتزل وقد درس العلوم العسكرية في ألمانيا وسافر إلى اليابان في عام ١٩٠٨م في مهمة عسكرية . وقد تأثر بالوحدة اليابانية وطاعتهم العمياء لزعمائهم . وقد تأثر بالفكر الياباني القائم على التوسع العسكري في آسيا (Norris & Haring,1980:55)

وقد فرق هاوسهوفر بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكيا على أن الأولى ترى الدولة من وجهة نظر المكان، بينما ترى الثانية المكان من وجهة نظر الدولة، كما استخدم هاوسهوفر مصطلحات سلوكية مثل الكائن الحي أو (Living Space) أو ما يطلق عليه بالألمانية (Lebensraum) كما دفع الألمان إلى الاهتمام بالخرائط وأطلق عليه (Space Consciousness) الشعور أو الوعي أو مجموعة الخبرات الشخصية للفرد بالمكان (Norris & Haring,1980:57).

ومن هنا يتضح أن الإدراك عند هؤلاء العلماء لم يكن حالة عفوية، وإنما هي حالة إدراكية واعية تهدف إلى السيطرة على الدول الأصغر تحت عنوان مقولة "الكائن الحي الحيوي" .

اهتم علماء الجغرافيا السياسية بدرجة كبيرة بسلوكيات التصويت ، فمنذ الدراسة التي قام بها كريبهيل E. Krebheil عن تأثير البيئة على نتائج الانتخاب بين عامي ١٨٨٥م-١٩١٠م ، حيث ركز الجغرافيون على الاختلافات المكانية لتجمعات التصويت وارتباطها بالمتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية. وبعد الحرب العالمية الثانية قام بعض جغرافيي فرنسا ومنهم اندرو سيجفر يدAndre Siegfried وفرانسوا جوقيل Francoise Goguelبربط عملية سلوكيات التصويت بخصائص السكان ونشاطهم الاقتصادي والاجتماعي. وفي منتصف الأربعينيات من القرن العشرين ظهرت عدة كتب ناقشت سلوكيات التصويت للأفراد، حيث ركزت هذه الكتب على عدة طرق للتعرف على سلوكيات التصويت عند الأفراد مثل المقابلات وأهمية التفاعلات بين الفرد والمجموعة التي ينتمي إليها لتصل هذه الدراسات إلى نتيجة مؤداها أن قرار التصويت يعكس العلاقة الداخلية بين المتغيرات الاجتماعية والحالة الاقتصادية والبيئة

الطبيعية.وفي منتصف الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين ظهرت مجموعة من الدراسات التي ركزت على الناخب مع التأكيد على العامل النفسي باستخدام عينات احتمالية. كما أضافت هذه الدراسات عاملاً مهماً هو الإدراك عند المرشح وسلوكياته وأفكاره (Kasperson, 1969:313-314).

كما ظهر الإدراك في الجغرافيا السياسية المعاصرة من خلال الجغرافيا الانتخابية والتي يمكن تعريفها بأنها "العلم الذي يدرس ويحلل الجوانب المكانية لكيفية تعامل السياسيين في المستويات المختلفة مع المسئولين محليا-و مركزيا وحكوميا للحصول على السلطة والتحكم في سيرها". ومن هذا المنطلق تعتبر الجغرافيا الانتخابية الوسيلة الأساسية في فهم الحكومات ودرجة تحكمها. فإذا كانت العلوم السياسية هي دراسة العمليات المتعلقة بعملية صنع القرار السياسي، فإن الجغرافيا السياسية تعد العلم الذي يدرس الإدراك المكاني والبيئي من أجل خدمة صانعي القرار السياسي. وتختص الجغرافيا السياسية بدراسة البعد المكاني، حيث تظهر الجغرافيا الانتخابية كفرع من الجغرافيا السياسية للإجابة على سؤال مهم هو أين يجب أن يركز صانعوا القرار في الحصول على السلطة؟ (Dikshit, 1982:239).

هناك عدة مناهج لدراسة الجغرافيا الانتخابية منها:

١- المنهج التقليدي

ويقوم على أساس افتراض أن أفراد الشعب سوف يصوتون طبقا لما يدركونه محققا لمصالحهم ثم يقومون بالاستقصاء عن شخصية النواب التي قد تتوافق مع طبيعة مصلحتهم، منطلقين في ذلك من عدة عوامل شخصية تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والدين والجنس وهي عوامل تشرح أنماط التصويت في الدولة أو المناطق الانتخابية.

وقد حاول بيلينج Pelling التفريق بين المنهج الايكولوجي الذي يرتبط مفهومه بالسلوك السياسي لبيئة الناخب من جهة ونمط حياته الاجتماعية من جهة أخرى، وبين المنهج الاجتماعي الذي يرتبط بالعلاقة بين السلوك السياسي للناخب وطبقته الاجتماعية. كما اقترح استخدام المنهج الايكولوجي في البيئة الريفية واستخدام المنهج الاجتماعي في المناطق الحضرية، إلا أنه من الملاحظ أن هذين المنهجين لم يجدا قبولا من قبل الجغرافيين ، إذ تعرض هذا المنهج، أي التقليدي، للنقد من قبل مدرسة جديدة في الجغرافيا الانتخابية بقيادة كوكس Cox ورينولد Reynold وآرشر Archer وبراون Brown حيث أشاروا إلى أن هناك قصورا في المنهج التقليدي يتمثل في الآتي:

١- أن ترابط المعلومات التي تم جمعها لا تسمح بإيضاح الفروق أو التنبؤ بسلوكيات الأفراد، مثال ذلك، الفروق الناجمة عن الحالة الاقتصادية للناخبين.

٢- أن هذا المنهج يستخدم بواسطة علماء السياسة وبالتالي فانه لا يصلح أن يكون منهجا جغرافيا(Prescott, 1972;84) .

٢- المنهج السلوكي أو المكاني Spatial or Behavioral Approach

يركز هذا المنهج على المكان space بهدف تفسير سلوكيات التصويت كوظيفة as a Function ضمن منطقة انتخابية لها خصائصها الاقتصادية والاجتماعية، وأثر العلاقات المكانية على سلوكيات التصويت. وقد كتب كوكس بصورة مكثفة بهدف توضيح ميكانيكية الوصول إلى استجابة التصويت، وقانون التجاور والانتشار المكاني للتأثيرات السياسية في التصويت، وكذلك الآلية التي تؤثر على التجاور، إلا أن أهم كتاباته ظهرت في الورقة المقدمة في عام ١٩٦٩م في مجلة التطور في الجغرافيا Progress in Geography ومحاولته ربط قرارات التصويت الشخصية بمواقع شبكات المعلومات، حيث وضح أن التصويت كوظيفة ربما يعد تقديما لمفهوم نقاط الاتصال (Node) في مواقع شبكة المعلومات. وقد فصل كوكس عملية التصويت كوظيفة مبينا أنها تحتاج إلى ثلاثة مفاهيم هي:

١- المرسلSender.

٢- ناقل للمعلومات لإرسال المعلومات واستقبالها.

٣- مستقبل receiver (Dikshit, 1982:248) .

وقد وصف كوكس طبيعة المعلومات وأن شبكة المعلومات تعتمد على الربط بالمشاركة مع انسياب المعلومات ذات الطبيعة السياسية. وقد حدد كوكس أربعة أنواع من المعلومات المنحازة ذات العلاقة بأعضاء الحزب Partisans .

الأول: المسافة الجغرافية المتحيزة Geographical distance bias

وهي التي تصف احتمالات الربط بين نقاط الاتصال.

الثاني: دائرة التعارف المتحيزة Acquaintance circle bias

وهي احتمالية انسياب المعلومات بين شخصين في نفس المحيط.

الثالث: الميدان القسري المتحيز Forced field : bias

وهي أن عوامل معينة تتوقف على قوى معينة مما يجعل هذه العوامل أكثر احتمالية من غيرها.

الرابع: التبادلية العكسية أو الإثارة العصبية المتبادلة Reciprocity

وهذه تعني الإثارة العصبية المتبادلة من المرسل إلى المستقبل ثم إلى المرسل مرة أخرى (Dikshit, 1982:249)

سلوكيات التصويت

الخرائط الذهنية Mental Maps

تعتبر الخرائط الذهنية إحدى أهم الأدوات الإدراكية التي تؤثر في صانعي القرار باعتبارها إحدى الطرق العقلية لتخيل العالم من حولنا سواء كانت دولة أو العالم ككل.

وتعد الخرائط الذهنية واحدة من أهم المفاهيم التي تم تطويرها بهدف التحقيق في التمثيل الذهني للبيئة. فمنذ أن صاغ تولمان في عام ١٩٤٨م مفهوم الخريطة الذهنية، تم دمج عدد من المصادر المختلفة التي يمكن أن تؤثر في التمثيل الذهني. ومن أول هذه المصادر البيئة ذاتها، حيث تركز الدراسات عن التوجه المكاني والإدراك المكاني بالدرجة الأولى على الخصائص الطبيعية للبيئة، وتأثير المعرفة، والقدرة على تقصي الطرق، أو القدرة على توجهات الموضوعات، بالإضافة إلى ذلك هناك عدد آخر من المعلومات تخزن في الخرائط الذهنية غير المعلومات الجغرافية وهي معلومات يمكن أن تتداخل مع المعلومات الجغرافية ذاتها مثل المعلومات البشرية والاقتصادية التي يمكن أن تؤثر في الإدراك عن المسافات بين المناطق والدول المجاورة. هذه العوامل تعمل بصورة غير متناسقة "غير متماثلة" وبطريقة تجعل من الاختلافات الاجتماعية والثقافية مشوهة للهدف من مواقع المدن والدول بطرق مختلفة معتمدة في ذلك على جنسية الموضوع والتاريخ والعرق والاقتصاد والثقافة التي يمكن أن تؤثر على الإدراك على دولة منفردة ومنطقتها(Garcia-Mira & Real,2005:1).

فالخريطة الذهنية عبارة عن نوع خاص من التصور، إلا انه أقل من التجربة الحسية المباشرة، أو خيال تكون فيها الخريطة الذهنية أقل من "صورة"، وفي الحقيقة لا الإدراك أو الخيال هو مجرد صورة للواقع، فالإدراك ليس فقط تسجيل للمحفزات البيئة الحالية، ولكن أيضا جهد خيالي، منتج في إطار الاحتياجات الآنية.ويعد الخيال بناء يتكون كإدراك، ثم يتحول إلى خيال آخر نتيجة لتعرضه إلى ضغوط تحدو به إلى استرجاعه في الذاكرة. وقد تكون الخريطة الذهنية خيالا أو صورة لخريطة حقيقية هي في حد ذاتها فكرة مجردة أو تجريد لخريطة حقيقية هي الأخرى في حد ذاتها تجريد للواقع(Tuan,1975:209).

ولا تتأثر الخرائط الذهنية في صورتها النهائية فقط بالعوامل الخارجية المختلفة، بل هي تتأثر أيضا ،وفي بعض الأحيان، بالاستجابات الداخلية.وقد تمت دراسة المفاضلة بين الموضوعية والذاتية في وصف البيانات ضمن علم النفس البيئي، خاصة ضمن حقل الجمال البيئي، حيث تتعلق الخصائص الموضوعية للاماكن بعدة عوامل منها الجاذبية، والرفض، أو التجاهل، بالإضافة إلى تقييمين جماليين آخرين للأماكن هما قدرة النماذج على التنبؤ، والآخر يستند على الملامح الطبيعية للنماذج"النفس-طبيعيةPsychophysical" للبيئة وتطوير نماذج تشمل جميع العوامل النفسية التي تشارك في التجربة الجمالية للنماذج الإدراكية (Garcia-Mira& Real,2005:1) .

وتسعى الخرائط الذهنية إلى تحديد بعض العلاقات، ولكن ليس تلك المتعلقة بالسلوك ،ولكن الباحثين في هذا المجال يركزون على الصور أو الخيال والأفضليات والخصائص المتعلقة بالموضوع مثل العمر

والجنس والوضع الاجتماعي- الاقتصادي وهذه الخصائص أو الإحصائيات تقدم فهما لا بأس به إلى أهمية الصورة أو الخيال (Bunting&Guelke,1979:452).

وللخرائط الذهنية عدد من الوظائف في المعرفة الجغرافية والسلوكيات منها:

١- أن الخرائط الذهنية تجعل من الممكن تقديم توجيهات إلى شخص غريب من خلال طريقتين، الأولى، أن تكون الخريطة معه، والأخرى أن تخبره كيفية الوصول إلى هدفه وان الخرائط الذهنية تساعد على إعداد المعلومات المكانية بصورة كفؤة.

٢- أن الخرائط الذهنية تجعل من الممكن وضع السلوك المكاني في الذهن بحيث يمكن التصرف بطريقة صحيحة ومؤكدة.

٣- أن الخرائط الذهنية هي عبارة عن أداة تتعلق بالذاكرة حيث تساعد على معرفة مواقع الأحداث والناس والأشياء أو حتى إسناد بعض المواقع لهم.

٤- أن الخرائط الذهنية مثل الخرائط الحقيقية، هي وسيلة لبناء وحفظ المعلومات.

٥- أن الخرائط الذهنية هي عوالم خيالية وهي صور جذابة الأهداف لإغراء الناس (Tutan, 1975:210-211)

ويعد الإدراك المكاني عملية ذهنية معقدة تتأثر بعدة عوامل مثل الظروف الثقافية ، القيم أو المبادئ ، السلوك ، الدوافع ، والأهداف، ويتكون الإدراك المكاني من عدة مفاهيم ذات علاقة بموضوع الخرائط الذهنية:

أولاً: الدوافع المركزية Centrality

ويقصد به من الناحية الإدراكية، مركزية العالم من حولنا، حيث نرى أن معظم الخرائط سواء للمنزل، أو الولايات، أو الدول، تظهر هذه الظاهرات الجغرافية في مركز الخريطة للعالم الذي حولها. وفي الحقيقة نجد كل نقطة في الكون تعتبر مركزية، وأن ما حولها يظهر هذه المركزية التي لا تعدو كونها رغبة شخصية من الفرد أو الجماعة يتم إدراكها بهذه الطريقة.

ثانياً: خرائط الإدراك الذهني Mental or Cognitive Maps

وتتركز على إدراك الشخص للعالم وهذا الإدراك يتأثر بموقع الشخص وثقافته، فعلى سبيل المثال، نجد أن سكان الجبال يختلفون في إدراكهم للعالم من حولهم بالمقارنة مع ما يدركه ساكنو الأودية، وهكذا نجد عدة سلوكيات مختلفة لدى البشر على كل من المستوى المحلي والإقليمي والعالمي نتيجة لاختلاف المفاهيم والظروف سواء كانت بيئية أو اجتماعية أو سياسية.

ثالثاً: المسافة Distance

مسألة إدراكية حيث نجد أن تقدم المواصلات والاتصالات جعلت الفرد (إدراكيا) يرى الأماكن التي كان يراها في أوقات سابقة بعيدة أصبحت قريبة، إلا أن هذه المسافات الإدراكية تختلف من فرد لآخر.

رابعاً: الاتجاه Direction

الاتجاه حيث نجد أن الكثير من المصطلحات الجغرافية ذات الدلالة على الاتجاه مثل قرب ،الأوسط ، الشرق الأقصى ،أسفل ، تحت، أو أسفل ،قمة، أو أعلى، ويرتبط الإتجاه كثيرا بالأفراد، فعلى سبيل المثال، ما يجده فرد ما قريبا قد يجده الآخر بعيدا، كما يرتبط الاتجاه بالمركزية ،حيث نجد أن الاتجاه الواحد قد يدركه شخصين ولكن بدرجة كبيرة من الاختلاف.

خامساً: التخيلImage

شكل آخر من أنواع الخرائط الإدراكية ،وعلى الرغم من أنها خيالية ،وتختلف عن المكان الحقيقي، إلا أنها تؤثر كثيرا في عملية صنع القرار والأفعال(Glassner&DeBlij,1980:15-17) .

الحدود السياسية: مدخل إدراكي

تعد الحدود Boundaries والتخوم Frontiers خطوطا ومناطق تفصل دولا أو أقاليم لها سلطاتها السياسية عن بعضها البعض، وقد درست الجغرافيا السياسية الحدود منذ نشأتها بالتفصيل (Prescott, 1972:54) ، كما درست الجغرافيا السياسية الحدود من نواحي تطبيقية والتغيرات التي طرأت على هذه الحدود.

ولقد عرف دوجلاس داوسن Dawson الحدود السياسية بأنها: "نتيجة لإحساس الإنسان بالإقليم الذي يعيش فيه ورغبته في عزل منطقة ما يستطيع أن يحتفظ بطابعه الثقافي ويصبغ مستقبله السياسي " (Dawson ,1975: 168)

وقد اهتمت الجغرافيا السياسية بدراسة الحدود من الناحية السلوكية ،حيث نجد أن بعض هذه الدراسات تهتم بالسلوك الإنساني في مناطق الحدود من ناحيتين:

الأول – سلوك الحكومات والدول تجاه بعضهما البعض، وهذا السلوك يحدد بدوره تطور الحدود والتخوم، كما يحدد نوعية الصراع المتعلق بالحدود، وكذلك يحدد تكوين الأنظمة والقوانين المتعلقة بمناطق الحدود.

الثاني- سلوك الأفراد الذين يسكنون تلك المناطق الحدودية أو بالقرب من التخوم، حيث يختلف إدراكهم عن الحدود، وكذلك الإطار الذي وضعته الحكومة للقوانين في هذه المناطق، وأن هذين العنصرين سوف يؤثران على الأنشطة الاقتصادية وطرق الاتصال عبر هذه المناطق(Prescott,1972:55)

ونتيجة للاستقرار النسبي الذي تشهده الحدود السياسية بين الدول في الوقت الحاضر خصوصا منذ الستينيات من القرن العشرين، اتجهت الجغرافيا السياسية نحو دراسة سلوكيات الحركة والهجرة مع التركيز على عمليات صنع القرار والاختيار.أما في السبعينيات من القرن العشرين فقد شهدت الجغرافيا السياسية تركيزا على دراسة الإدراك البيئي وأفضلية المكان Place Preference والخرائط العقلية لسلوك الحركة Mental Maps of Movement –Behavior ،كما شهدت تلك الفترة في الولايات المتحدة هجرات على

مستوى الولايات، وعلى المستوى العالمي، إلا أنه يجب الإشارة هنا إلى التمييز بين هذه الهجرات والهجرات على مستوى محلي أصغر Micro-scale Movement وهي تلك التي تظهر بين المدن. كما يجب التمييز بين الهجرة في كلا المستويين فبينما ركزت الأولى على الهجرة بين مكانين Origin-Destination ركزت الثانية على دراسات الحركة والهجرة على مستوى أصغر وهي تلك التي تحاول تفسير الحركة السلوكية من عدة اتجاهات تشمل الاختيار وعملية صنع القرار، وهذه أيضا تشمل أفضلية الفرد Individual Preference ومقاييس الإدراك المكاني Measures of spatial cognitionوكذلك المعايير الاقتصادية مثل أسعار المنازل أو معدل الإخلاء ، كما ركزت عدة أبحاث على دراسة سلوك المستهلك والمنتج Consumer and Producer Behavior، وكذلك السلوك المعتاد Habitual Behavior وترجع أهمية هذه الدراسة إلى فرضية مفادها أن الناس يقومون بعمل الشيء ذاته عن طريق العادة وبصور متكررة، وعملية السلوك هذه تساعدنا في عملية صنع القرار، وهي عملية ترتبط بشكل دقيق بالسلوك الإنساني ذاته (Colledge,1980:16-17) .

الخلاصة

ويمكن إن نختتم هذا البحث بالقول إن الجغرافيا السياسية قد احتوت خلال المراحل التي مرت بها منذ نشأتها، على يد العالم الألماني فريدريك راتزل، العديد من المفاهيم والمصطلحات الإدراكية مثل Space, Perception, View, Stimuliسواء في كتابات الجغرافيين مثل كانت أو حتى بعد نشأة الجغرافيا السياسية في فترات لاحقة في كتابات علمائها مثل ماكندر وراتزل وهاوسهوفر وكيلن وريتر.

إلا أن فترة الخمسينيات من القرن المنصرم وما بعدها شهدت ظهور مفاهيم إدراكية في صلب الجغرافيا السياسية نتيجة لظهور الإدراك كعلم له مفاهيمه ونظرياته بالإضافة إلى ظهور حقول أخرى من المعرفة ذات ارتباط شديد بالجغرافيا السياسية مثل الجغرافيا الانتخابية وسلوكيات التصويت والهجرة الداخلية.

المراجع

المراجع العربية

خيري، السيد محمد وآخرون.علم النفس التجريبي.مطبوعات جامعة الرياض رقم ٢١. الرياض: المطابع الأهلية للأوفست.

السمالوطي، نبيل محمد توفيق.الإسلام وقضايا علم النفس الحديث.جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠٤هـ.

عاقل، فاخر.معجم علم النفس.بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

المراجع الأجنبية

Aitken,Stuart C.& Bjorklund,ElaineM. "Transactional and Transformational Theories in Behavioral Geography" The professional Geographer .Vol,40,No.1,February,1988.

Bunting,Trudi E. & Guelke, Leonard "Behavioral and Perception Geography: A Critical Appraisal" Annals of the Association of American Geographers,Vol.69,No.3,September,1979.

Colledge, Reginald "A Behavioral view of Mobility and Migration Research" The Professional Geographer. Vol.12 No. 1 1980 p.p 14-21.

Dawson, John and Doornkamp ,John C .Evaluation the Human . Environment .Essays in Applied Geography . London : Edward Arnold ,1975

Dikshit.R.D. Political Geography : A Contemporary Perspective New Delhi : Tata McGraw-Hill publishing company l982 .

Fischer, Eric . Campbell , Robert D ,and Miller ,Eldons. A question of place : The Development of Geographic Thought, Arlington :Beatty ,1969.

Garcia-Mira,Recardo & Real,J.Eulogio "Prologue: Environmental Perception and Cognitive maps" International Journal of Psychology,2005,40(1),1-2.

Glassner , Martin. I and De Blij ,Harm . Systematic Political Geography . New York : John Wiley & sons , 1980.

Jackson, Douglas and Samuels , Marwyn ed. Politics and Geographic Relationships: Toward a New Focus . Englewood
Cliffs : prentice hall, inc 1971.

Kasperson, roger and Minghi , Julian .V. ed. The Structure of politics Geography . Chicago: Aldine publishing Co . 1969.

Norris, Robert. E and Haring .L. Lloyd. Political Geography Columbus: Merrill publishing Co 1980.

Prescott. J. R . V Political Geography. London: Methuen & Co ltd 1972.

Tuan,Yi-Fu "Images and Mental Maps" Annals of the Association of American Geographers,Vol,65,No.2,June,1975

الانترنت

- http://Turkcebilgi/cognitive
- http://english.turkcebilgi.com/perception

The Concept of Perception and the Extent of Deploying them in the Field of Political Geography

Ibrahim M.A. alfaggy
Institute of Diplomatic Studies

(Received 9/5/1429H.; accepted for publication 29/10/1429H.)

Abstracts. During its long history, Political Geography has studying the phenomena of Perception, as a Psychological Processes relevant to Geographical Science. The interest has increased through several phases starting from the ideas of Frederick Ratzil, the founder of the Modern Political Geography that dominated the ideas of many political geographer scientists until the sixties of the twentieth century, when Political Geography headed towards the search for new fields and study Non-Traditional Subjects. The study was concerned with Geographical awareness across the long history of Political Geography even before the emergence of modern science, from the Greek Philosophers and across a number of schools such as the British Experimental School or the Logical School. Many of the Pioneers in the field of Political Geography and in Geopolitics, in particular, such as Immanuel Kant, Karl Ritter, Frederick Ratzil, Halford Mackender ,Karl Haushofer, deals with Perception. In addition, the research investigates the Perception, by examining the behavior of voting behavior in the Electoral Geography, which is a branch of Political Geography, and a Principal Science to study government and the degree of control. This research examines Mental Maps as a means to imagine the Mental World and the most important tools cognitive influential in decision-making.

Finally, the research deals with the Political Boundaries as a means, which study boundaries between States in terms of the conduct of governments and nations towards each other, and behaviors of individuals who live in border areas.